

# اختيارات نهج البلاغة

الاستاذ الدكتور:

صاحب محمد حسين نصّار

(جامعة الكوفة – كلية الفقه)



## اختيارات نهج البلاغة

اختيار مصباح السالكين «إنموذجاً» دراسة في  
الأسلوب والمنهج للشيخ ميثم بن علي  
البحراني «١٢٣٨ هـ - ١٢٩٩ هـ»

الاستاذ الدكتور صاحب محمدحسين نصّار - جامعة الكوفة - كلية الفقه

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله  
الطيبين الطاهرين...

### مقدمة

نحن الآن نتفياً ظلال نهج البلاغة حول دوحة الإمامة وشاخص  
الإيمان وسارية التوحيد أمير المؤمنين (عليه السلام) أمير البيان  
والفصاحة والقرآن الناطق.  
يتفق جميع المسلمين وغيرهم على أنّ علي بن أبي طالب (عليه  
السلام) هو مَنْ سَنَّ البلاغة والفصاحة ورافدها الذي لا ينضب.  
لذا كثرَ شراحُ نهج البلاغة من جميع المذاهب والأفكار وشتى  
الأصقاع والأوطان فضلاً عن ذلك كان يهتم بحفظه حملة العلم  
والحديث في العصور المتقدمة حتى اليوم، وهذا دليلٌ على  
عظمة النهج وصاحبه وهو باب مدينة علم الرسول (صلى  
الله عليه وآله وسلم) لقوله: «أنا مدينة العلم وعلى بابها»

سلامٌ على النجفِ الأطيب      سلامٌ على وُردِهِ الأعذب

عليّ ويسحرَ هذي القلوب      وريحانةَ الشرقِ والمغرب

«فأنت إذا تأملت نهج البلاغة وجدته كله ماءً واحداً ونفساً واحداً وأسلوباً واحداً كالجسم البسيط الذي ليس من أبعاضه مخالفاً لباقي الأبعاض في الماهية، وكالقرآن العزيز أوله كأوسطه وأوسطه كأخره وكل سورة منه وكل آية مماثلة في المأخذ والمذهب والفن والطريق والنظم لباقي الآيات والسور ولو كان بعض نهج البلاغة منحولاً وبعضه صحيحاً لم ذلك كذلك فقد ظهر لك بهذا البرهان الواضح ضلال من زعم أن هذا الكتاب أو بعضه منحول الى أمير المؤمنين(عليه السلام)».

هكذا تحدث السيد الشريف الرضي(رض) وهو أعرف من أن يُعرف ببيد أن مايناسب المقام هنا أنه «قليل الرعاية للعصبيّة المذهبية، والظاهر أنه كان حُرّ العقل الى حد بعيد، فقد كان يدرس جميع المذاهب الإسلامية ليمدّ عقله بالأنوار التي يُرسلها إختلاف الفقهاء»<sup>٢</sup> وهذا توصيف أحد دارسيه وهم كثر وهو الدكتور زكي مبارك في دراسته العبقريّة الشريف الرضي.

وكان من أولئك العظام الذين شرحوا وتصدوا للنهج وحتى الكلمات القصار من حكمه ووصاياه ومواعظه وأثاره التي خلفها لنا الإمام (عليه السلام): الشيخ ميثم بن الشيخ على البحراني (١٢٣٨-١٢٩٩هـ) الذي أنبرى لما خلفه الإمام نهجاً وغيره.

والشيخ ميثم البحراني أحد رواد المعرفة الأمثال جذوره «البحرين» تلك الواحة العربية الإسلامية ولوده الفقهاء كالشيخ علي الشيخ سلمان البحراني وصاحب الحدائق الشيخ يوسف وأبن عصفور وغيرهم الكثير.

وملهمّة الشعراء وماشئت فعير، فقد آوى الشيخ كمال الدين ميثم البحراني الى الحلة الفيحاء وريثة بابل التمدن والتحضر ومهد حمورابي وهي أنذاك «عُش» الشيعة وحاضرة الفقه ومثابة

١ . نهج البلاغة: جمع الشريف الرضي (المقدمة).  
٢ . عبقريّة الشريف الرضي: د. زكي مبارك ١٢٥/١.

الإعلام: الحليان: المحقق والعلامة وابن نما وابن أدریس  
والسيدان حيدر وجعفر وقبلهما صفي الدين شاعر أهل البيت  
(عليهم السلام) القائل مطرزاً علم العراق:

**بيضٌ صنائعنا سودٌ وقائعنا خضرٌ مرابعنا حمرٌ مواضينا**

ذلكم هو تشييع العراق وعراقه التشيع وعروبة المذهب.  
ثم أرتحل الى بغداد وسكنها فترةً قبل رجوعه الى البحرين  
وبغداد يوم ذاك فمُ الدهر وعاصمة الدنيا ومنتج العلماء.  
في ذينك البعدين: الزماني والمكاني شرح شيخنا النهج وما كان  
لفدّ عبقرى أن يتصدى للشرح الا إذا كان بمستوى شرح النهج،  
ذلك النهج وصاحبه الذي هو ترجمان القرآن، الحجّة الناطق هو  
الأدب العربي يمشي على قدمين وتلك شهادة مناوئيه قبل  
أوليائه.

تداوله السابقون واللاحقون بالتنقيح والتبويب والتحقيق  
والتوثيق، ومالقي أي كتاب مثل مالقيه نهج البلاغة، بل أستوقف  
جمعاً من المفكرين والأدباء، وقفوا ملياً عنده حتى القصار من  
كلماته وهي حاوية لكل الإعجاز البياني والبلاغي، وذلك ما حدا  
بالدكتور طه حُسين عند معالجته لمقولة أمير البيان وإمام  
البلاغة (عليه السلام) «اعرفِ الحقَّ تعرفُ أهلهُ»، فقد كانت  
دراسة الشيخ البحراني وشرحه للنهج متميزاً بعقليته الواسعة  
الفذة فقد اخترنا من بين تلك الدراسات والشروح للنهج «اختيار  
مصباح السالكين» إنموذجاً للدراسة في أسلوبه ومنهجه وكانت  
الدراسة متضمنة تمهيداً عن البحرين وأعلامها وعلمائها  
ومفكرها ومن أولئك شيخنا المبحوث بشرحه لنموذج من بلاغة  
الإمام (عليه السلام)، فقد عرضت في التمهيد لأساتذته من شتى  
البلدان كذلك تلامذته موزعين على ثلاثة أقسام في الحلة الفيحاء  
وثانيها من البحرين والثالث منها من أماكن أخرى وختمت  
التمهيد بمؤلفاته وأثاره العلمية، أما الدراسة فقد أنتظمت على

ثلاثة مباحث الأول منها كان مختصاً ببيان مدرسه وشرحه من النهج وغيره والمبحث الثاني قد وضّح الأسلوب والأسلوبية عموماً، ثم وضّحت أسلوبه الخاص ومنهجه المتميز في شرحه وعرضه أما المبحث الثالث فقد إنعقد لدراسة نقدية ومنهجية وعلمية لكتابه «اختيار مصباح السالكين» وهو بيت القصيد للدراسة.

وأسال الله ان أكون قد وفقت بهذه الدراسة المتواضعة عن علم من أعلام البحرين لشرحه وبيانه لنموذج من نماذج البلاغه والبيان والذي قيل عنها وعن صاحبها «دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق».

وفي الختام أتمنى للجميع التوفيق في جهودهم العلمية والتسديد والنجاح

وأخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

**الباحث: صاحب محمد حسين نصّار**

**تمهيد:-**

ليس غريباً بل من الطبيعي أن يبرز أعلام أفذاذ وعلماء أجلاء من البحرين، البلد العربي الإسلامي الأصيل فهو ذو أصالة وحضارة موهلة بالقدم،نشأت قبل ميلاد السيد المسيح(عليه السلام) بثلاثة آلاف سنة، تميز أولئك العلماء بثتى العلوم والمعارف، وعلى مر العصور مقرونة بالأخلاق الحميدة والأداب الجليلة والصفات النبيلة، فمن الفلاسفة والحكماء الى الفقهاء والمحدّثين والمفسرين وما الى ذلك، ومن أعلامهم شيخنا العلامة المحقق الحكيم ميثم البحراني.

ترجمته وموجز سيرته:-

نحاول عرض السيرة الذاتية والعلمية وكما يلي:

أولاً: موجز ترجمته:

هو الشيخ كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (قدس) ولد في البحرين، وتوفي عام ١٢٩٩م، وقبره في هلنا إحدى القرى الثلاث المجاورة للبحرين، وهو الآن مزار مبارك ضريح شاخص يؤمه الزائرون من داخل البلاد وخارجها.<sup>٣</sup>  
ثانياً: أساتذته وشيوخه:

درس على تلة من العلماء الأعلام في مقدمتهم:  
الشيخ أبو السعادات أسعد بن عبد القاهر الاصفهاني العالم المحقق الفاضل (ت ٦٣٥هـ).

الشيخ جمال الدين علي بن سليمان البحراني الفيلسوف الحكيم.  
الخواجة نصير الدين الطوسي (ت ٦٧٢هـ) في الحكمة وهو غني عن التعريف ومن طريف الأمر أن الخواجة نفسه قد درس الفقه على الشيخ ميثم؛

فضلا عن المباحثة والمدارسة بينه وبين المحقق الحلبي نجم الدين أبي القاسم (ت ٦٧٦هـ) أثناء وجوده في مدينة الحلبة.  
ثالثاً: تلامذته:

أن تلاميذ الأستاذ أثر من آثاره، وكثيراً ما يكون تنقيب الأستاذ عن مواهب طلابه، ثم عنايته بصقلها وتوجيهها وبيانها وذلك بالسهر على تخريجهم وهو أجدى للمجتمع من تأليف كتاب أو إجابة مسألة. فهم في الحقيقة كتبه الحية السريعة الأثر في المجتمع والناشرون لأراء أستاذهم.

- ١ . البحرين قديماً كانت تضم الإساء والقطف وأوال (أي البحرين).
- ٢ . البحرين قديماً كانت تضم الإساء والقطف وأوال (أي البحرين).
- ٣ . وهو أصح الرويات بتاريخ وفاته كما ذكر ذلك الطهراني في الذريعة وأغلب المترجمين، وأنه انتهى من الشرح الصغير سنة ٦٨١هـ.  
ينظر، لؤلؤة البحرين، ص ٢٦١+أنوار البدرين، ص ٦٦.
- ٤ . وهذه الطريقة متبعة ومعروفة في الدراسة الحوزوية في مدرسة النجف الأشرف والحلة الفيحاء وباقي الحوزات، التدريس والتلمذة في آن واحد.

فيكفي العلامة الشيخ ميثم البحراني فخرأ وعزأ بن من أبرز  
تلامذته:

١. من الحلة الفيحاء:-

أ. السيد عبد الكريم أحمد بن طاووس (ت ٦٩٣هـ).

ب. العلامة الحلبي الحسن بن يوسف بن المطهر (ت ٧٢٦هـ).

ج. الشيخ محمد بن الجهم الأسدي الحلبي الربيعي.

فضلا عن المحقق الحلبي نجم الدين أبي القاسم (٦٧٦هـ) الذي  
كان يتحاور معه.

٢. من البحرين:-

أ. الشيخ عبد الله صالح البحراني وغيره.

٣. آخرين:-

أ. الشيخ الجرجاني الشيخ أبو المحاسن «كان معاصراً للعلامة  
الحلبي».

رابعاً: مؤلفاته وآثاره العلمية:

كان له الكثير من المؤلفات والآثار العلمية ما أغنى به المكتبة  
الإسلامية في شتى المواضيع في مقدمتها وأهمها: دراسته  
وشرحه لنهج البلاغة فضلاً عن الآثار الجليلة البيانية والبلاغية  
والحكمية كالكلمات القصار وغيرها، لمولانا أمير المؤمنين علي  
بن أبي طالب (عليه السلام).

وقد تميز شيخنا البحراني (قدس) بشرحه وبيانه لنهج البلاغة هذا  
السفر الخالد والأثر العلمي الكبير الذي قال عنه ابن أبي الحديد  
المعتزلي: (أنه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق) أنه من  
الطبيعي لايتأتى لأي أنسان شرح كلام سيد البلغاء وإمام  
الفصاحة والبيان القرآن الناطق إلا إذا كان بالمستوى العلمي  
الذي يؤهله لسير أغواره وتوضيح مفرداته وبيان مكوناته بما  
يحويه النهج من المكتنزات البلاغية والثروات اللغوية والروائع  
البيانية فضلاً عن المعارف والعلوم والحكم التي تبلورت بين  
ثناياها، كاد الشيخ ميثم البحراني أن يكون المتخصص في نهج

البلاغة وكذا في الآثار والكلمات القصار التي وردت عن سيدنا ومولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) فقد أثر عن البحراني العديد من المؤلفات والكتابات التي بُحِثت في جميع جوانب النهج بأسلوبه المُمْتِيز وطريقة دراسته وفق المنهج العلمي. ولغرض بيان ذلك سوف تنتظم الدراسة على النحو الآتي:

المبحث الأول: بيان وعرض مدارسه وشرحه من النهج وكلام الإمام (عليه السلام).

المبحث الثاني: الأسلوب الخاص المتميز في شرحه وعرضه له.

المبحث الثالث: دراسة نقدية ومنهجية لكتاب (إختيار مصباح السالكين) «إنموذجاً».

المبحث الأول: بيان وعرض مدارسه وشرحه من النهج وكلام الإمام (عليه السلام):

أن شرح نهج البلاغة في الواقع ثلاث شروح فضلا عن شرحه للمائة كلمة وليبان ذلك ينتظم المبحث على مطلبين وكما يلي:

المطلب الأول: شروح نهج البلاغة وهي على ثلاثة أقسام: أولاً: الشرح الكبير: وقد سماه ( مصباح السالكين ) وهو كتاب

قيّم رائع واضح المعالم منتظم زاخرٌ بدقائق العلم والمعرفة ويوضح مفردات المطلوب بأسلوب الحكمة والفلسفة وقد أورد

به نواذر جمة ومفيدة.

سبب تأليفه هو ماراه من شوق وشغف وطلب علاء الدين عطاء الملك بن بهاء الدين محمد الجويني الى كشف وبيان ومعرفة

حقائق ومسائل نهج البلاغة، وقد تم أهداء الكتاب إليه كما يبدو من ديباجة الكتاب، وقد فرغ من تأليفه عام ٦٧٧ هـ كما ذكر ذلك

الشيخ البحراني نفسه في آخر الشرح وقد طبع هذا الشرح بخمسة مجلدات ولعدة مرات وتلك قرينة مؤكدة على الأهمية والحاجة لهذا السفر الخالد وقد عمت شهرته العالم الإسلامي



أجمع، ولأهمية الشرح هذا فقد أختصر من قبل أعلام أجلاء من  
ابرزهم:

العلامة الحلبي يوسف بن الحسن المطهر (ت ٧٢٦هـ) وقد أورد  
الطهراني الشيخ أغا بزرك في الذريعة بأنه لم يعثر على نسخة  
منه.

نظام الدين علي بن الحسن الجيلاني وسماه (نور الفصاحة  
وأسرار البلاغة) وقد أضاف إليه بعض الزيادات من شرح ابن  
أبي الحديد يقع في عدة مجلدات فرغ المؤلف من المجلد الأول  
يوم الإثنين ربيع الأول (١٠٥٣هـ).

ثانياً: الشرح المتوسط: وهو ملخص الشرح الكبير وسمي  
(إختيار مصباح السالكين) لخصه بإشارة من علاء الدين لولديه  
نظام الدين أبي منصور محمد، ومظفر الدين أبي العباس علي  
فرغ من تلخيصه في شوال سنة (٦٨١هـ).

ثالثاً: الشرح الصغير: أورد الشيخ سليمان بن عبد الله الماحوري  
المتوفى سنة (١١٢١هـ) سمعت من بعض الثقة أن له شرحاً  
ثالثاً على كتاب نهج البلاغة الكبير، وقد ذكر الخوانساري في  
روضات الجنات<sup>١</sup> وقال: ومن مصنفاته البديعة (شرحه الصغير  
على نهج البلاغة).

المطلب الثاني: هو شرح الكلمات القصار للإمام علي بن أبي  
طالب (عليه السلام) وكما يلي:

منهاج العارفين\*

المبحث الثاني: الأسلوب ماهيته ومفهومه ونماذج من ذلك:  
ولبيان الحقيقة اللغوية والأصطلاحية للإسلوب وتوضيح مفهومه  
ونماذجه منه ينتظم المبحث على ثلاثة مطالب وكما يلي:

المطلب الأول: الحقيقة اللغوية والأصطلاحية للإسلوب  
أولاً: المعنى اللغوي للإسلوب:

كل طريق ممتد فهو أسلوب والإسلوب: الطريق والوجه والمذهب، يقال أنتم على أسلوب، أي على طريق ومذهب، ويجمع على أساليب<sup>١</sup> والإسلوب: الفن يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه<sup>٢</sup>، وهذه المعاني اللغوية قسمان: قسم حسي يمثل الوضع الأسبق للفظ، للطريق الممتد أو المسلك، والإسلوب عليه خطة يسلكها السائر، وقسم معنوي هو الخطوة الثابتة في الوضع اللغوي حيث تنقل الكلمات من معانيها الحسية إلى المعاني الأدبية أو النفسية وذلك هو الفن من القول أو الوجه أو المذهب في بعض الأحيان<sup>٣</sup>.

ثانياً: المعنى الاصطلاحي للإسلوب:

(هو فن من الكلام يكون قصصاً أو حواراً تشبيهاً أو مجازاً أو كناية، تقريراً أو حكماً أو مثلاً، فإذا صح هذا الأستنباط كان للإسلوب معنى أوسع إذ يتجاز هذا العنصر اللفظي فيشمل الفن الأدبي الذي يتخذه الأديب وسيلة للإقناع أو التأثير)<sup>٤</sup>.  
أن الإسلوب منذ القدم كان يلحظ في معناه ناحية شكلية خاصة هي طريقة الأداء، أو طريقة التعبير التي يسلكها الأديب لتصوير مافي نفسه أو لنقله إلى سواه بهذا العبارات اللغوية، ولايزال هذا هو تعريف الأسلوب إلى اليوم، فهو: طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها

---

١ . فقد ورد في بعض المصادر والبحوث بمنهج العرفين كما ورد في بحث السيد محمد بحر العلوم عام ١٩٩٩م ويبدو ان الصحيح ( العارفين ) كالشروح الاخرى كالسالكين ومختصره وكذلك ورد في بعض المصادر الاخرى بالعارفين. ينظر مصادر نهج البلاغة وسانيده: السيد عبد الزهرة الخطيب ٢٧٣/١.

٢ . لسان العرب: ابن منظور، المجلد(١) ص٤٧٣.

٣ . م.ن + مختار الصحاح: أبو بكر الرازي ص٣٠٨ طبع دار الرسالة الكويت ١٩٨٣م.

٤ . الأسلوب: أحمد الشايب، مطبعة السعادة، ط٤ ١٩٥٦م، ص٤١.

عن المعاني قصد الإيضاح والتأكيد أو الضرب من النظم  
والطريقة فيه<sup>١</sup>.

المطلب الثاني : مفهوم الأسلوب  
ويتوضح مفهوم الأسلوب من خلال اتجاهين وهما:  
الاتجاه الأول:

إذا سمع الناس كلمة (الإسلوب) فهموا منها هذا العنصر اللفظي  
الذي يتألف من الكلمات فالجمل والعبارات، وربما قصره على  
الأدب دون سواه من العلوم والفنون وهذا الفهم – على صحته –  
يعوزه شيء من العمق والشمول ليكون أكثر أنطباقاً على  
ما يجب أن يؤديه هذا اللفظ من معنى صحيح وذلك إن هذه  
الصورة اللفظية التي هي أول ماتلقى من الكلام لا يمكن أن تحيا  
مستقلة وإنما يرجع الفضل في نظامها اللغوي الظاهر الى نظام  
آخر معنوي أنتظم وتآلف في نفس الكاتب أو المتكلم فكون بذلك  
أسلوباً معنوياً، ثم تكون التآلف اللفظي على مثاله وصار ثوبه  
الذي لبسه أو جسمه إذ كان المعنى في الروح، ومعنى هذا أن  
للإسلوب معان مرتبة قبل أن يكون ألفاظاً منسقة وهو يتكون في  
العقل قبل أن ينطق به اللسان أو يجري به القلم.

الاتجاه الثاني:

أن كلمة (الإسلوب) صارت هذه الأيام حقاً مشتركاً بين البيئات  
المختلفة، ويستعملها العلماء ليستدلوا بها على منهج من مناهج  
البحث العلمي، ويستعملها الأدباء في الفن الأدبي قصصاً أو جدلاً  
أو تقريراً، وفي العنصر اللفظي سهلاً أو معقداً وفي إيراد  
الأفكار منطقية أو مضطربة وفي طريقة التخيل جميلة ملائمة  
أو مشوهة نابية، وكذلك الموسيقيون يتخذونها دليلاً على طرق  
التلحين وتأليف الأنغام للتعبير عما يحسون أو يخالون ومثلهم  
الرسامون فهي عندهم دليل على طريقة تأليف الألوان ومراعاة

التناسب بينها، وهكذا حتى أصبحت هذه الكلمة (أسلوب) تكاد  
ترادف كلمة الشخصية في المعنى لهذا كله كان إطلاقهم على  
هذا العنصر اللفظي ضرورة اقتضاها التعليم أولاً ولأنه هو  
مظهر العناصر الأخرى ومعرضها ثانياً.  
المطلب الثالث: نماذج من مميزات وخصائص أسلوبه في شرح  
النهج

وبغية الوقوف على نموذج لما ورد في النهج ببعض المغيبات  
وبيان أسلوب الشيخ ميثم البحراني وشرحه ودفاعه عن النهج  
ينتظم المطلب كالآتي:

النموذج ( عرض ودراسة وتعقيب)

إسلوب الشيخ ميثم الخاص والتميز في كيفية توضيح علم  
أمير المؤمنين (عليه السلام) ببعض المغيبات الواردة في النهج  
والرد على من أورد الشبهة.

قبل بيان الأسلوب والكيفية التي عالج وردّها بها شيخنا البحراني  
أوضح ماهية الشبهة.

أما فحوى الشبهة: ورد في بعض الخطب في النهج أنباء غيبية  
وأخبار الملاحم والفتن بما يختص علمه بالله تعالى وحده.

الجواب والتعقيب عليها: ان الغيب يختص علمه بالله سبحانه  
وتعالى ومن ارتضاهم من أنبيائه وأوليائه وكم حوت السنة  
الشريفة أنباءً غيبية وأخباراً عن الملاحم والفتن، فقد أخبر  
الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بمغيبات كثيرة تحقق منها  
قبل زماننا، وقسم تحقق في هذا الزمان:

فمن القسم الأول قوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، لإم الفضل  
حيث ولدت عبد الله بن عباس: «أذهبي بأبي الخفاء» وقوله  
(صلى الله عليه وآله وسلم) حول علي (عليه السلام): «لا يموت

حتى تخضب لحيته من هامته»، ومن أشارته الى عائشة بأنها صاحبة الجمل وتنبحها كلاب الحوآب... الخ<sup>١</sup>، وما ذلك عن النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، إلا بوحي من ربه العليم الخبير، كذلك لا ينطق أبن عمه وربيب حجره وصاحب سره في الملاحم والخفايا إلا بخبر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)<sup>٢</sup> وقد قيل له (عليه السلام): «لقد أعطيت يأمير المؤمنين علم الغيب» فضحك (عليه السلام) وقال للرجل وكان كلبياً: [ياأخا كلب ليس هذا بعلم غيب، وإنما هو تعلم من ذي علم (أي من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علمه الله نبيه فعلمنيه، ودعا لي بأنه يعيه صدري]<sup>٣</sup> (وتعيها أنن واعية)؛ ولاغرو فقد ثبت عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيه أنه قال: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»<sup>٤</sup> فمن أختص بهذا الأختصاص لا يستغرب منه أن يملأ الكتب من أسرار الكائنات وكامنات الحوادث، وقد روى عنه (عليه السلام) أنه تنبأ بمصير الخوارج حينما أخبره الناس بأنهم عبروا النهر، قال (عليه السلام): «لا يفلت منهم إلا عشرة ولا يقتل منا إلا عشرة»<sup>٥</sup>. فكان الأمر كذلك وماكان علمه (عليه السلام) وعلم الأئمة عليهم السلام من بعده – بأنباء الغيب إلا تعلم من ذي علم، وهو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويؤكد هذا المعنى ماروى عن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) حين قال عن علمهم بالغيب: «... والله ماهي إلا وراثه عن رسول الله (صلى

١ . ينظر ماهو نهج البلاغة: للسيد هبة الدين الشهرستاني ص ٥٤.

٢ . الجديد في الأدب العرب: حنا فاخوري ص ٣٨٢.

٣ . ماهو نهج البلاغة: للسيد هبة الدين الشهرستاني ص ٥٤-٥٥.

٤ . شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ١/٢٤٥-٢٤٦.

٥ . الحاقة / ١٢.

٦ . ماهو نهج البلاغة: للسيد هبة الدين الشهرستاني ص ٥٥.

الله عليه وآله وسلم) «<sup>١</sup> فقد أورد العلامة المحقق الشيخ ميثم البحراني مانصه بخصوص توضيح وبيان ماذكر في الشبهة بإسلوبه الفلسفي الحكيم الرائع الواضح الذي تميز به في شرحه للنهج وكما يلي:

«لايقال: لاتسلم أن ذلك علم ألهمه الله آياه، وأفاضه عليه، بل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أخبره بوقائع جزئية من ذلك، وحينئذ لايبقى بينه وبين غيره فرق في هذا المعنى، فإن الواحد منا لو أخبره الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بشيء من ذلك لكان له أن يحكي ما قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وإن وقع المخبر به على وفق قوله، ويدل على ذلك قوله بعد وصف الأتراك وقد قال له بعض أصحابه في ذلك المقام: لقد أعطيت يأمرير المؤمنين علم الغيب فضحك وقال للرجل وكان كلبياً: «ياخا كلب ليس هذا بعلم غيب، وإنما هو تعلم من ذي علم، وإنما علم الغيب: علم الساعة وماعده الله سبحانه وتعالى بقوله [أن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الأرحام...]<sup>٢</sup> من ذكر وأنثى وقبيح وجميل وشقي وسعيد ومن يكون للنار حطباً، أو في الجنات للنبين مرافقاً، فهذا علم الغيب الذي يعلمه إلا الله وماسوى ذلك فعلم علمه الله نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم)، فعلمنيه، ودعا لي بأنه يعيه صدري وتضم عليه جوانحي» وهذا تصريح بأنه يعلم من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأننا نقول: إنا لم ندع أنه (عليه السلام) يعلم الغيب، بل المدعى انه كان لنفسه القدسية استعداد ان تنتقش بالأمر الغيبية عن افاضة جود الله تعالى، وفرق بين الغيب الذي لايعلمه إلا الله وبين ما ادعيناه، فإن المراد بعلم الغيب هو

١ . شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ٢٤٥/١ (وفيه جمهرة من المغيبات م.ن م ٢٠٨/١).

٢ . الأمالي: الشيخ المفيد (محمد بن محمد بن نعمان) ص ١٣.

العلم الذي لا يكون مستعاداً عن سبب يفيدته وذلك إنما يصدق في حق الله تعالى إذ كل علم لذى علم عداه فهو مستفاد من وجوده إما بواسطة أو بغير واسطة فلا يكون علم غيب وأن كان أطلاعاً على أمر غيبي لا يتأهل للأطلاع عليه كل الناس، بل يختص بنفوس خست بعناية إلهية كما قال تعالى: [عالم الغيب فلا يظهر على غيبه إلا من أرتضى من رسول] فإذا عرفت ذلك ظهر أن كلامه (عليه السلام) صادق مطابق لما أردناه فإنه نفى أن يكون ما قاله عن غيب لأنه مستفاد من وجود الله سبحانه وتعالى وقوله (عليه السلام) «وإنما هو تعلم من ذي علم»<sup>١</sup>، إشارة إلى وساطة تعليم الرسول له وهو إعداد على طول الصحبة بتعليمه، وإشار إلى كيفية السلوك وأسباب التطوع والرياضة حتى أستعداد للانتقاش بالأمور الغيبية والإخبار عنها وليس التعلم هو إيجاد العلم – وإنما كان أمراً قد يلزم إيجاد العلم – فتبين أن تعليم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن مجرد توقيفه على الصور الجزئية بل إعداد نفسه بالقوانين الكلية، ولو كانت الأمور التي تلقاها عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) صوراً جزئية لم يحتاج إلى مثل دعائه في فهمه لها فإن فهم الصور الجزئية أمر ممكن سهل من حق من له أدنى فهم، وأن ما يحتاج إلى الدعاء، وإعداد الأذهان له بأنواع الإعدادات هو الأمور الكلية العامة للجزئيات وكيفية أنشعابها عنها وتفريعها وتفصيلها وأسباب تلك الأمور المعده لإدراكها، ومما يؤيد ذلك قوله (عليه السلام) «علمني رسول الله ألف باب من العلم فأنتفتح لي من كل باب ألف باب»<sup>٢</sup>

١ . لقمان / ٣٤.

٢ . الجن / ٢٦-٢٧.

٣ . شرح نهج البلاغة: ميثم البحراني ٨٣/١-٨٤.

وقول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) «أعطيت جوامع الكلم وأعطي على جوامع العلم» والمراد بالإنفتاح ليس إلا التفريع وأنشعاب القوانين الكلية عما هو أهم منها، وجوامع العلم ليس إلا ضوابطه وقوانينه، وفي قوله تعالى [وأعطي] بالبناء للمفعول دليل ظاهر على أن المعطي لعلي جوامع العلم ليس هو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بل الذي أعطاه ذلك هو الذي أعطى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جوامع الكلام هو الحق سبحانه وتعالى، أما الأمور التي عددها الله سبحانه فهي من الأمور الغيبية وقوله لا يعلمها أحد إلا الله كقوله: [وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو] ٢

وهو محتمل للتخصيص لما هو في قوله «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من أرتضى من رسول» ٣ وهذا الأمر واضح لاحتياج العاقل في استكشافه إلى كلفة: عرض رأي العقاد والتعقيب عليه:

أورد عباس محمود العقاد مانصه (عندما خفي عليه هذا المعنى ولم يقف على كلام الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة): (التهيؤات التي جاءت في نهج البلاغة عن الحجاج وفتنة الزنج وغارات التتار وما إليها هي من مدخول الكلام عليه مما أضافه النساخ إلى الكتاب بعد وقوع تلك الحوادث بزمن قصير أو طويل) ° وهذا من الأشكالات الغربية. تعقيب ومناقشة للسيد الحسيني رداً على العقاد:

- ١ . شرح نهج البلاغة: ميثم البحراني ١/٨٣-٨٤.
- ٢ . الكافي: الكليني (كتاب العلم).
- ٣ . الإنعام / ٥٩.
- ٤ . الجن / ٢٦ - ٢٧.
- ٥ . شرح نهج البلاغة: ميثم البحراني ١/٨٣-٨٤.



(والعجب أن هذا الرأي يصدر من كاتب له قدم راسخة في التحقيق، ولآرائه قيمة عند الأدباء، وكتبه سوق رائجة بين الناس؟

هب أن الأخبار عن الحجاج وفتنة الزنج أضيفت الى الكتاب بعد صدوره بزمن قصير أو طويل لأنه لا يريد أن يتهم الرضي بالوضع - ولكن كيف يضاف الى الكاتب الإخبار عن فتنة التتار، وكل حوادث التتار من ابتداء من حملات جنكيز خان الى احتلال هولاءكو بغداد كان مابين سنة (٦١٦هـ) الى سنة (٦٥٦هـ) وهذه نسخ(نهج البلاغة)المخطوطة قبل هذا التاريخ منها نسخة المتحف العراقي المؤرخة(٥٥٦هـ) أي قبل وقوع تلك الحوادث بمائة عام، وفيها هذا الكلام الذي يشير فيه الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) الى تلك الفتن والمحن وهو لا يختلف عما في النسخ المطبوعة بل والمخطوطة أيضاً<sup>١</sup> علماً بأن ذلك مذكور في شرح ابن أبي الحديد المعتزلي<sup>٢</sup> وشرح الشيخ ميثم البحراني<sup>٣</sup> كما ذكرنا آنفاً فقد أورد موضحاً ابن أبي الحديد ما نصه : «وأعلم أن هذا الغيب الذي أخبر(عليه السلام) عنه قد رأيناه نحن عياناً، ووقع في زماننا وكان الناس ينتظرونه من أول الإسلام حتى ساقه القضاء والقدر الى عصرنا، وهم التتار الذين خرجوا من أقاصي المشرق...»<sup>٤</sup> وأخيراً فمن أدخل هذا الكلام ياترى ؟ وأي ناسخ أضافه ؟ وهل نسبة علم الغيب الى الوضّاعين والناسخين أقرب الى القبول من علم علي بالغيب؟!...!!!

١ . عبقرية الإمام علي: عباس محمود العقاد، ص ١٤٠-١٤١.

٢ . مصادر نهج البلاغة وأساتيده: السيد عبد الزهراء الحسيني، المدخل، ج ١، ص ٢٠٧-٢٠٨.

٣ . شرح النهج: ابن ابي الحديد المعتزلي ٢١٨/٨ الطبعة الجديدة.

٤ . شرح نهج البلاغة: ميثم البحراني ٨٣/١-٨٤.

المبحث الثالث: دراسة نقدية ومنهجية حول كتاب (اختيار مصباح السالكين) إنموذجاً:

رغم مرور أكثر من ألف عام على ظهور نهج البلاغة فإنه مازال يتفاعل في أوساط النقاد والأدباء بل تناوله كلاً من اختصاصه وقرائته فهو كتفسير الكتاب الكريم، كما لو كان حدثاً جديداً لم تستنفذ دراسته وفهمه، وفعلاً قد تناوله الأقدمون تارة بالشروح وأخرى بالملاحظات النقدية فيما يتعلق بصحة نسبهته بالإمام علي(عليه السلام) وماتزال بعض الدراسات الحديثة تقدم شيئاً جديداً، وأما بالنسبة لطول الشوط الزمني للأهتمام بهذا الكتاب فإنه يعد أهم سفر قيّم بعد القرآن الكريم والحديث الشريف، والمعركة حوله من أهم المعارك في التراث الإسلامي والأدب العربي

( اختيار مصباح السالكين )

اهمية دراسة وبحت الشرح المتوسط ( اختيار مصباح السالكين ):

انصب بحثي في هذا المبحث على الشرح المتوسط ( اختيار مصباح السالكين ) لاهمية دراسته والذي أود أن أوضحه أن النقاش حول النهج لم يكن دائماً نقاشاً أدبياً أو موضوعياً فيكتفي بأدوات الحوار المعتادة، وإنما يأخذ بعض الأحيان شكل المعارك التاريخية والعصبيات المذهبية بحيث يبرز الدور الأكبر للعاطفة وذلك لأن صاحب هذا الكلام في هذا الكتاب(الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) فصورة علي(عليه السلام) لدى اخواننا من أهل السنة لا تنسجم غالباً مع وجود خطبة في نهج البلاغة (الخطبة الشفشفقية) تتضمن رأيه في الخفاء الثلاثة، وهو رأي ينطوي على نقد صريح يتعلق بأحقيته الخلافة، وقد عالج الشيخ ميثم البحراني الكثير من

الأشكالات التي حاول تصويرها بعضهم حول محتويات النهج وما ضمه بين دفتيه من مواضيع قد تبدو غريبة على الواقع الموضوعي لكلام أمير المؤمنين (عليه السلام). فقد أراح الغبار الذي تركته الصراعات المذهبية عبر بيان أن الأسلوب المجازي البليغ الذي صيغت به تلك العبارات يجعل من الصعب وصمها بـ(السب) الصراح و(الحط) من الخليفتين أبي بكر وعمر.

فالنقد الموضوعي من قبيل (أما والله لقد تقصمها ابن أبي قحافة وأنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي) او (فيا عجباً بينا هو يستقبلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته) ليس سباً أو خطأ إلا إذا أخذنا بالأعتبار أن القائل ليس علياً وإنما شخص آخر متأخر عنه أو أن صورة علي(عليه السلام) عند الناقد ليست الصورة الواقعية له.

الملاحظ أن الناس من ذوي الأقدار المتواضعة في دنيا الثقافة لا يعرفون كبير فرق بين النقد والشتم، فالتاريخ يحدثنا عن الصراحة المتبادلة بين صحابة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد كانت المعارك الحربية في حالات نادرة – جزءاً – من تلك الصراحة.

لقد قرأ المحقق ميثم البحراني النص في نهج البلاغة في سياقه التاريخي وظروفه الاجتماعية وأوضاع زمانه الفكرية وسوف نعطي هنا مثالا توضيحياً من معضلة توقّف عندها بعض المعترضين لشخصية الإمام علي(عليه السلام) وعبقريته مع إعجابهم البالغ به، وأستفاد منها آخرون للإشكال على (نهج البلاغة) وهي قضية ورود مصطلحات أو مفردات اصطلاحية تخص علوماً لم يعرفها المسلمون إلا بعد سنوات طويلة على وقت صدورهما.

وتخص هذه المفردات والصياغات الذات الالهية والصفات التي جاءت ضمنها أعقد قضايا علم الكلام وهي الكلام عن الذات والصفات الألهية.

أنظر مثلاً الخطبة التي يوردها إبراهيم بن هلال الثقفي المتوفى سنة (٢٨٣هـ) في كتابه (الغارات) وهو سابق على النهج بنحو مائة عام (فتبارك الله الذي لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الظن وتعالى الذي ليس لصفته نعنا موجود ولا وصف موجود ولا اجلا ممدود وسبحان الذي ليس له أول مبتدأ، ولا غاية منتهى ولا آخر يفنى فسبحانه هو كما وصف نفسه، والواصفون لا يبلغون نعته...)<sup>١</sup>.

وأنظر أول خطبة من خطب نهج البلاغة في حديثه عن التوحيد أيضاً، وهي أشدها غرضاً للمغرضين وأثارة يقول (عليه السلام): «أول التوحيد معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه ومن جزأه فقد جهله...»<sup>٢</sup>.

ويرى المحقق البحراني أن ظاهر هذه الخطبة أوصاف بلاغية وألفاظ جاءت على الأشتاقات المألوفة في اللغة فكون اللفظة عربية والأشتاق منها عربي لا يضر عدم اطلاع هؤلاء عليها في كلام العرب في الجاهلية أو الإسلام. ولكن هذا الدفاع لا ينجح في طرد الشبهة كما يبقى الحيرة مرادة للعقول المنصفة. ونظراً إلى منهجه أعتمد على فحص نصوص (النهج) من حيث سياقاتها الزمنية وواقع عصرها الفكري والاجتماعي، نجد المحقق ميثم البحراني قد أتبع أمارات هذا المنهج ويبدو أن إيمانه بقطعية صدور (النهج) عن أمير المؤمنين (عليه السلام)

١ . أمل الأمل: العاملي ٣٣٢/٢.

٢ . إبراهيم بن هلال الثقفي: الغارات، تحقيق السيد جلال الدين المحدث، طهران، ١٣٩٥هـ.

أوقفته عن الأستغراق في تحقيق المسألة وأشهد له (إذا كانت لشهادتي قيمة) بالقابلية التامة على أنجاز هذه المهمة. فهو في شرح الخطبة السابقة يتوقف عند كلمة (همامة) في قوله (عليه السلام): «ولا همامة نفس أضطرب فيها» فقد فند الرأي الذي يقول: أن الهمامة بمعنى الهمة فقال: «واللغة العربية ما عرفنا فيها أستعمال الهمامة بمعنى الهمة، والذي عرفناه الهمة والهمّة بالكسر والفتح والمهمة وتقول لا همام لي بهذا الأمر مبني على الكسر كفطام ولكنها لفظة اصطلاحية مشهورة عند أهلها»<sup>١</sup>.

ولذا يتوجب علينا بناء علم الكلام وفق ماورد عند الإمام علي(عليه السلام) في سياق تاريخي حضاري غير متعارفنا من طرق الأمور بأجمالها، وتبغني مراعاة الدقة والتخصص والبحث التاريخي والفلسفي العميق وأتخاذ نظرة شمولية تراقب بدقة صعود الحضارات وهبوطها وتغير خارطة نفوذها الجغرافي وانتقال مراكز الفكر فيها وظهور الفرق والأديان وأصطراعها مع بعضها.

والذي أريد توضيحه في هذه الورقة ان هناك مجالاً كبيراً ينتظر الدراسين لربط الحركة العلمية في أواخر القرن الأول بما تقدمها من زمن الرساله الإسلامية ومجتمعها، وقد أقتصرت البحوث المنشورة في اغلبها على البحث الفقهي أو البلاغي ولم تتجاوزها الى البحث الكلامي، وعلينا في هذا المجال أن نعيد النظر في فترة (عثمان بن عفان) على وجه الخصوص لما انطوت عليه من اضطراب واختلاف في المقالات، ولأنها ستكون المقدمة التي جاءت بعدها الحوادث الكبرى كما اصطلاح عليها طه حسين: ( الفتنة الكبرى) في تاريخ الإسلام وبداية تشكيل الفرق،

---

١ . من خطاب النهج في باب التوحيد، ينظر الخطبة رقم(١)، ١٨٣، ٦٣ و١٨٤.

كما أن عصر الإمام علي (عليه السلام) لم يبحث بشكل كاف، بل أن المباحث الفلسفية والكلامية حول نهج البلاغة قليلة وموزعة على الشروح وكتب العقائد ولم تجمع في كتاب مستقل فهناك حاجة ماسة لتكملة هذه الجهود والسير بها خطوة متقدمة بأن تربط بمجمل تطور الفكر الفلسفي والكلامي الإمامي ثم الإسلامي العام.

اتهامات بلا دليل لا يريد استعراض ما جاء في هذه الأطروحة وإنما أقول: أن كثيراً من الدراسات الحديثة ليست حديثة إلا في التاريخ (تاريخ الطبع) لأن الاعتماد على آراء غير محققة هو للأسف ديدن العديد من اصحاب هذه الدراسات.

فإذا أخذنا ماكتبه إسعاف النشاشيبي وجمال سلطان وصفاء خلوصي وإحسان عباس وغيرهم نجد أن الاتهامات هي ذاتها ومايسمى بالأدلة هي ذاتها والفارق الوحيد هو في الإسلوب فقد كتب الباحث وارث حسن معلقاً على ماكتبه الدكتور صفاء خلوصي عن (نهج البلاغة) في أطروحته الموسومة (التأثيرات الشيعية في الأدب العربي) كذلك مقالته في مجله Islamic Review في أكتوبر ١٩٥٠م قائلاً: «أن تعليقات خلوصي عن..(كذا وكذا) مطابقة لما ذكره جميل سلطان بصورة تجلب النظر» وفات وارث حسن أن جميل سلطان هو الآخر هضم حقوق التأليف لأسلاف له على رأسهم الشيخ ميثم البحراني ولم يأت بشيء ذي بال من عنده رغم أن أنجازه للأطروحة أستغرق ثمانية سنوات! إضافة الى هذا فإنه حوّر المعنى بما يفيد الشك علماً أن الذي بذر بذور الشك بحسب الرأي المشهور هو ابن خلكان (٦٨١هـ) ثم ابن تيمية (٧٢٨هـ) في منهاج السنة النبوية، والذهبي في (شذرات الذهب) المتوفى سنة (٧٤٨هـ)، والصفدي (ت٧٦٤هـ) في الوافي بالوفيات، وابن حجر العسقلاني

(ت ٨٥٢هـ) في لسان الميزان، كل هؤلاء رددوا شكوك ابن  
خلكان وربما أضافوا إليها تعليقات أخرى وهكذا يتحول هذا  
الصرح الضخم من الدراسات النقدية الى ركام من احجار  
مكررة بليدة<sup>١</sup>.

وهو أمر مؤسف فكتاب نهج البلاغة برأي المتواضع ليس فوق  
النقد تنزلاً من الناحية الاسلوبية والجمالية، وليس من الناحية  
العقدية والايولوجية لكنه يستحق نقداً موضوعياً جاداً، نقداً على  
مستوى بعض الشروح التي خلدت ذكره مثل شرح الشيخ ميثم  
البحراني وهو من كبار الأدباء في القرن السابع الهجري  
والمأمول أن يتصدى للنقد أيضاً أدباء كبار من هذا العصر بعيداً  
عن الأهتمامات غير الأدبية.

وأستميحك العذر لأنني لم أفصل وتركت كثيراً من التفاصيل  
على أمل مواصلة هذه الدراسة في فرصة أخرى بإذن الله  
تعالى.

---

١ . عبد الزهراء الحسيني: مصادر نهج البلاغة وأسانيده - النجف  
الأشرف/١٩٦٦، ١١٥/١.